انزلاق الماء

قصة بقلم وصال خالد

وتعيد ناديا سؤالها للمرة الثالثة :

ـ جوانا ، قولي لماذا لا تحاولين الخروج من صدفتك الخانقة لماذا لا تلبين دعوة واحد من المعجبين .

(واذكرك واتساءل : قد تكون انت الان هائما قرب مقهى « الهورس شو » او جالسا في « الكافادى باري » وقد يلح عليك صديقك او شقيقك للخروج من صدفتك ودعوة احدى الفتيات .ربما اغرتك المغامرة. اما انا فوحيدة هنا . ولماذا احاول الخروج مع احدهم ؟ واية سعادة ساجد برفقته ما دمت سابقى وحيدة ...

وامر قرب مقهى « اللوكسمبورغ » ادخل وحيدة لا بأس . ساجلس ساطلب قهوة وماء .

ماء من الحنفية اقول للجرسون واضحك . واذكرك . يوم قلت له اننا نحن اللبنانيين ضفادع نحب ماء الحنفيات .

يقترب احدهم من الآلة الصغيرة قرب الحائط ويضع قطعة نقدية، ينساب الصوت : « وداعايا حلوتي ... كان ذلك في مطار اورلي .. ستكتبين لي) .

وتيأس ناديا من حالتي فتقول :

ـ حقا لم ار مثلك حتى الان ... ان اية فتاة في باريس تتمنى لو تتلقى دعوة عشاء او سهرة ، وانت فتاة متوحشة . انت دائما موجودة وغير موجودة ... اذا كنت تحبينه لماذا لم تذهبي معه ؟

(لقد سبقتني ، وبقيت انا ... القضية ليست قضية حب .. اخاف ان اكون قد تحولت الى قطعة زجاج وكل ما يمسها ينزلق عنها انزلاق الماء ... لا شيء يهزني لا شيء . اكتشفت الحقيقة . كنت دائما ابحث عن سبب لوجودي ، عن مبرر ، عن شيء يشدني دوما الى شيء . وكنت تسألني احيانا لماذا تحبين القهوة ؟ وتستغرب عندما اجيبك لانني عندما اطلب فنجان قهوة اسعد بانتظاره واحس انني انتظر شيئا سيأتي ، انتظر فنجان قهوة سأرشفه في جلسة حميمة ... كنت تضحك مني قائلا : اذن فنجان القهوة بالنسبة لك رمز ... اجل هو جلسة تخدير لبضع دقائق ...) .

وتتابع ناديا حديثها :

ـ لماذا لم تذهبي عندما بعث يقول لك : انا بانتظارك في بيروت ما الفائدة من بقائك هنا في باريس ما دمت غير موجودة بيننا ؟ .

(هل انقض على حقائبي .. ارمي فيها ملابسي واطير اليك ؟

وماذا ينتظرني هناك ؟ ماذا ينتظرني سوى الدوران في دوامة البشر ، ومرض والدتك الذي تستطيع توقيته ساعة تريد .

شيء ما في صدري منقبض ، لا هو يدفعني اليك فاذهب ، ولا هو يشدني الى هنا فابقى .

وعندما اتذكر المنعطف الذي وصلنا اليه قبل سفري، انظر الى الحقائب اطمئنها انها باقية في مكانها الى اجل غير مسمى) .

ـ جوانا . أجيبي . جوانا ، هل تخرجين الليلة معنا ؟ اعدك بان تبقي وحيدة ، لن يكون هناك رفيق خاص لك ، تعالي معنا على الاقل تتفرجين على الساهرين ...

(لماذا الفرجة ؟ وما هو الجديد فيها . المسرحيات نفسها هنا في باريس وهناك في بيروت ... نفس الاقنعة .. وينقبض صدري من جديد .

بعد الرسالة التي تدعوني فيها بانحاح استلمت برقيتك : « والدتي مريضة انتظري رسالة ... » ضحكت وقد اختلط علي الضحك والبكاء. كنت اعرف انها ستمرض .. اصبحت انا التي اؤقت لها مرضها ، شيء مسل ، هل تريد ان اؤقت لك شفاءها ؟ حسنا ... ستشفى بعد مدة ، عندما تعرف انني تركتك ، ولم الب نداءك ... عندما تعرف اننا افترقنا) .

ـ جوانا ، اذا لم تأت معنا ستبقين وحيدة في المنزل (افضل البقاء وحيدة مع وحدتي على ان اتقاسم الوحدة مع الاخرين .

الباب يغلق بشدة . استرحت . تناولت المرجع .. ساحاول وضع تصميم لموضوع دراستي : المرأة ، نشاطها الفكري ، نضالها ، ضحكت وتذكرت مرض والدتك ونضالها للاحتفاظ بك ، تذكرت خوفك عليها وشعورك بالذنب .

لا ، لن استطيع تركيز فكري ... ساحاول القراءة . اتناول الكتاب اقرأ : « سأذهب لابصق على قبوركم .. » . لا ، انه كتاب اسود ، قاتم ، لن استطيع قراءته . اتناول مجلة . افضل شيء قراءة مجلة في مثل هذا الحال . اقرأ ملخصا لمسرحية « انوى » « لا توقظوا السيدة ».

لماذا لا اراها ؟ يبدو انها مسرحية رائعة : الاهل ... الاولاد .. الام الطفلة ، الطفل الرجل ، الانسان الناجح التعيس ... الحنان ... المال ... الحاجة الى الحب ... الانسان في القمة مستفيئا ... تداخل الادوار .

من على صواب .. لا احد . اضيع ... آتوه ... والدتك على صواب ، انا على صواب ، انت على صواب ، كلنا مساكين ، سابقى ساذهب .. ساهرب .

ارمي المجلة من يدي ، دموعي تنساب ، اتركها ، يريحني انسيابها. والدتك تحبك ... انت تحبني .. انت تحبها ... انا احبك ، هي تكرهني ، انا اكرهها ، انت تكرهني ؟ لا انت لا تكرهني ... ما الفرق بين ان تحبني وان تكرهني ؟ لا توجد عاطفة مسطحة صافية .. كل العواطف متداخلة مبهمة ... امسح الدموع .. اقف قرب المرآة ، انظر الى وجهي .. كنت دائما تقول لي ان الدموع تجمل لي عيني، وعندما اثور اصبح اكثر تألقا ... لا انا الان لست اكثر جمالا .. لانني لست ثائرة ... انا مستكينة كزجاجة ملساء ينزلق عنها كل شيء .. انزلقت دموعي ، لم تلهب لي خدي ... دموع باردة ... قررت البقاء هنا في باريس ... لن اذهب .. ساتركك .. لقد نجحت في ان اجعل الاشياء تنزلق عن لوح الزجاج .)

بيروت

وصال خالد